

التبيان في تفسير القرآن

(405) قوله تعالى: هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون (67) آية بين أن تعالى في هذه الآية أن الذي يملك من في السموات ومن في الأرض " هو الذي جعل الليل " أي خلقه " لتسكنوا فيه " أي خلقه وعرضه لتسكنوا فيه وأنه لاجل ذلك خلقه ليزول التعب والكلال بالسكون فيه وجعل " النهار مبصرا " وإنما يبصر فيه تشبيها ومجازا واستعارة في صفة الشئ بسببه على وجه المبالغة ومثله قول جرير: لقد لمتنا يا أم عيلان في السرى * ونمت وما ليل المطي بنائم (1) وقال رؤية: ونام ليلي وتجلي همي (2) والفرق بين الجعل والفعل أن جعل الشئ قد يكون باحداث غيره كجعل الطين خزفا ولا يكون فعله إلا باحداثه. والفرق بين الجعل والتغيير أن تغيير الشئ لا يكون إلا بتصويره على خلاف ما كان، وجعله يكون بتصويره على مثل ما كان كجعل الانسان نفسه ساكتا على استدامة الحال. وقوله " أن في ذلك لآيات لقوم يسمعون " اخبار منه تعالى وتنبيه على أن هذا جعل لا يقدر عليه إلا تعالى، وأنه لا يصح إلا من عالم قاصد، وأنه نعمة على الخلق بما لهم في ذلك من النفع والصلاح، وأنه من الامور الازمة الدائرة، وأنه منصوب للفكر لا يغيب عنه طرفة عين. _____ (1) ديوانه 544 وتفسير الطبري 11 / 89 ومجاز القرآن 1 / 279 (2) ديوانه 143 ومجاز القرآن 1 / 279 (*)